

كتاب "نهاية السؤل والأمنية"

للدكتور أحمد سعيدان
(عضو المجمع)

١- تعريف

في المكتبة البريطانية في لندن* مخطوطة تحمل الرقم OR3631، وتضم مجموعة من الرسائل العربية في الفروسية، أكبرها رسالة بحوالي ٥١٠ صفحات، في كل صفحة ٢١ سطراً، في كل سطر حوالي ١٢ كلمة، وقد كتب على صفحة غلافها بخط جميل وتشكيل هندسي:

(كتاب نهاية السؤل والأمنية في تعليم أعمال الفروسية، تصنيف بكتوت الرماح، خازندار الملك الظاهر، رحمهما الله تعالى، أمين).

فمن هو بكتوت الرماح هذا؟

كُتِبَ على غلاف المخطوطة كاتب مستعجل، بخط إنكليزي غير واضح، يزعم أن حاجي خليفة ينسب الكتاب إلى إبراهيم بن أبي الحسن الشهير بابن رافع الدمشقي المتوفى سنة ٧٥٨ هـ. رجعت إلى كشف الظنون لحاجي خليفة فوجدته يذكر الكتاب، ولكنه ينسبه إلى محمد بن عيسى بن إسماعيل بن خسروشاه الاقسرائي الحنفي الرومي، المتوفى في حدود ٧٥٠ هـ. ورجعت إلى موسوعة بروكلمان فوجدتها تذكر بدر الدين بكتوت الرماح الخازنداري المالكي الظاهري المتوفى سنة ١٣١١/٧١١، ولكنها تنسب إليه كتاباً غير نهاية السؤل؛ وتذكر

* بترخيص من إدارة المكتبة البريطانية في لندن.

نهاية السؤل والأمنية في تعليم أعمال الفروسية، ولكنها تنسبه إلى محمد بن عيسى بن إسماعيل الحنفي المعروف بنجم الدين أيوب.

ورجعت إلى كتاب مارتن (مقدمة إلى تاريخ العلم) فوجدته ينسب الكتاب إلى الحسن الرماح، المسمى نجم الدين الأحذب، ويذكر أنه ظهر في سوريا حوالي ١٢٩٤/٥ (=٦٩٤هـ) وتوفي في الثلاثينات من عمره.

ومارتن ينسب إلى هذا الرماح الأحذب، بالإضافة إلى كتاب نهاية السؤل والأمنية، كتاباً في الفروسية والمناصب الحربية، ويسجل له أنه عني بالبحث في طرق تنقية البارود.

في غمرة هذا الاضطراب عدت إلى نص هذا الكتاب عساه يكشف لي عن هوية الكاتب؛ ومن النص تبين لي ما يلي:

ليس المؤلف هو نجم الدين الأحذب، كما يظن حاجي خليفة وبروكلمان ومارتن؛ ففي النص صفحات ينقلها المؤلف عن كتاب لنجم الدين يسميه كتاب البنود، ويذكر أنه أخذها عن نسخة لناصر الدين محمد الرماح، وأن ناصر الدين هذا قد عارض نسخته بنسخة لعز الدين بن عبدالعزيز الرماح بقلعة دمشق. ثم يذكر المؤلف ما يجد من فروق بين نصوص هذه النسخة ونصوص نسخ أخرى لكتاب نجم الدين، ويضيف بنوداً من عنده تكمل ما يذكره نجم الدين إلى المئة.

ويلى كتاب نهاية السؤل في مجموعة المكتبة البريطانية كشف يسرد فيه المؤلف، بدر الدين بكتوت الرماح الخازندار الظاهري، ما ألف من كتب ورسائل. ويلى ذلك رسالة قصيرة في علم الفروسية وعلاج الخيل. "تصنيف بدر الدين بكتوت الرماح؛ وكان ابتداء تأليفه في حصار عكا في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف، ولد مولانا السلطان الملك المنصور ... قلاوون، وذلك في شهر سنة ٦٨٩".

وفي الحاليتين يتباهى المؤلف بفروسيته ومهاراته في ركوب الخيل، والمبارزة بالسيف والرمح.

فإلى أن نعثر على أدلة جديدة أرى أن نعتبر:

أولاً، أن كتاب نهاية السؤل والأمنية في تعليم أعمال الفروسية ألفه بدر الدين بكتوت الرماح، لا نجم الدين أيوب الأحذب.

ثانياً أن بدر الدين هذا خدم الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون وابنه الأشرف؛ وقد يكون توفي سنة ٧١١، ولكن لا يُعقل أنه كان عندئذ في الثلاثين من عمره، ذلك أنه كان سنة ٦٨٩ في سنٍّ تُمكنه من وضع كتاب في الفروسية وعلاج الخيل.

ثالثاً أن محمد بن عيسى بن إسماعيل، المعروف بنجم الدين أيوب الأحذب، لا بد أنه عاش قبل بكتوت بأكثر من نصف قرن، وربما بأكثر من ذلك بكثير.

٢ - النسخة والناسخ

ليس هناك ذكر للناسخ ولا لتاريخ النسخ؛ ولكن الخط، في صفحات المجموعة كلها، واحد، وهو على نمط خطوط القرنين السابع والثامن الهجريين، سواء في ترتيب النص وفي الأرقام. فقد لا تكون النسخة متأخرة كثيراً عن تاريخ التأليف. ولكن ثمة دلائل على أنها منقولة عن نسخة سابقة. والخط واضح والأشكال مرسومة بإتقان بالغ. إلا أن الناسخ، على طريقة عصره، لا يراعي دقة التنقيط، ويندر أن يضع الهمزة، وهو لا يرقم الصفحات ولا الأوراق.

ويبدو أن الناسخ كثير السهو؛ ولعل أشنع أخطائه في موضع يجري فيه الكلام عن "الرمي بلا فوق"، أي بلا تصويب؛ فإذا بالكلام ينتقل فجأة، في وسط السطر والجملة، إلى تعليم فنون الرماية للمبتدئ. ونستطيع أن نقدر أن الناسخ أراد

هنا أن يقلب ورقة من الأصل الذي ينقل عنه فقلب ورقتين، ومضى ينسخ بلا تفكير.

ومثل هذا النقص في النص نجده في موضعين آخرين في الميكروفلوم الذي حصلنا عليه من المكتبة البريطانية، ولكننا فيهما لا نستطيع أن نجزم على من يقع اللوم.

أول هذين الموضعين هو الورقة الأولى من كتاب نهاية السؤل، فهي مفقودة. ولكننا نستطيع أن نقدر أن المؤلف يبدأها بحمد الله والصلاة على نبيه الكريم، ثم يذكر سبب وضعه لكتابه ولمن وضعه؛ ولعله هنا، كشأنه في مخطوطتيه الآخرين، يتباهى بفروسيته ومهارته في ركوب الخيل، والمبارزة بثتى أدوات الحرب.

والموضع الثاني الذي ينقطع فيه النص يأتي في أواسط المخطوطة، حيث يمضي الكلام عما ينبغي على الأمر أن يصنع عند عقد الجيش وعرض العساكر، فإذا به ينتقل فجأة إلى جدول اختيارات، أي أيام الأسبوع وما يصلح لها وتصلح له من أعمال. وتأتي هذه النقطة مع انتقالنا من ورقة إلى ورقة، مما يبعث على الترجيح بأن ورقة من المخطوط قد تخطاها التصوير، أو سقطت من الأصل.

٣ - المحتوى

يشتمل الكتاب على مقدمة واثني عشر فصلاً يسميها المؤلف تعاليم، وهذه التعاليم متباينة في الطول: يملأ أكبرها ٦٦ ورقة في المخطوطة، في حين أن اثنين منها لا يتجاوز كل منهما ورقة واحدة. وقد لا يصعب تبرير هذا التفاوت بين الفصول. إلا أن مما يلاحظ على المؤلف أن تقسيمه لموضوعاته لا يجري على نسق مميز؛ فهو قد يقسم الموضوع إلى أبواب، والباب إلى فصول، ثم يقسم أيضاً إلى أبواب.

إلا أن المؤلف، رغم هذه الهنات الشكلية، قد نجح في تحديد هدف واضح وفي تحقيق هذا الهدف: إنه محارب خاض غمار حرب صليبية واكتوى بناورها، فهو يكتب للحرب وفي الحرب. ولذا فهو يستهدف الحض على الجهاد في سبيل الله، ثم يمضي في تعليم المجاهد كل ما يفيد عن آلة الحرب وفنونه.

أما الحض على الجهاد في سبيل الله فقد وقّاه بمقدمة عرض بها كل ما ورد في القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف من آيات وأحاديث تتعلق بالجهاد، ثم أتبع ذلك بما رواه الرواة من قصص وأبيات شعرية عن المجاهدين والشهداء.

وقد لا تكون الأبيات الشعرية التي يوردها خير ما في الأدب العربي، وقد يكون كل ما فيها من أخطاء من صنع الناسخ، إلا أننا قد نتعذر أن نجد كتاباً واحداً يضم بين دفتيه كل هذا القدر من الأحاديث والروايات عن الجهاد والمجاهدين. إن مقدمته تملأ ٢٤ ورقة في المخطوط، ثم هو يضيف جديداً عن الجهاد عند الكلام عن الخيل ورباطها في سبيل الله، ويضيف جديداً أيضاً كلما وجد إلى ذلك سبيلاً، حتى يصل إلى التعليم الحادي عشر، فيجمل فيه الأحكام الشرعية المتعلقة بالجهاد وأسرى الحرب، مَنْ يُسَلَّم منهم ومن يبقى على دينه. إن ناحية التوعية في الكتاب وافية تكاد تدفع القارئ للجهاد دفعاً.

وأما تعليم الفروسية وأعمالها، الذي هو الموضوع الرئيسي، فتتضح أبعاده من البيان التالي عن تعاليم الكتاب:

التعليم الأول عن رماية النشاب وما يتعلق بالقوس والوتر، وكيفية الرمي، وكيف تختلف القوس باختلاف تركيب الرامي نفسه، وما قد يلحق به الرمي من ضرر بدني، وكيف يعالج الضرر، وكيف يتوقاه.

وفي هذا يورد المؤلف مذاهب ينسبها إلى أصحابها. ومن الأسماء التي يوردها: طاهر البلخي، ومحمد بن الحسن الهروري، وأبو هاشم الماوردي، وأبو

موسى السرخسي ... وهو يقتبس نصاً من شخص يسميه محمد بن بركات، المعروف بابن القاضي الأصيلي، ونصاً آخر من سعيد بن خفيف. ويملاً هذا التعليق في المخطوطة حوالي ١٤ ورقة.

التعليم الثاني هو أطول فصول الكتاب، ويملاً ٦٦ ورقة، ويشمل الحديث عن الرماح والخيل وركوبها. يبدأ بمقدمة دينية تتعلق بالرمح واستعماله، ثم يذكر ما يجب على المعلم تعليمه وما يجب على المتعلم؛ وهو يرى أن عليه أن يتعلم استعمال الرمح كما وصفه الشيخ نجم الدين أيوب المعروف بالأحدب، وذلك في كتابه عن البنود، والبنود، على ما يبدو، أشبه برقصات حربية يجريها الفارس والرمح في يده؛ والمؤلف يصف ٧٣ بنوداً، نقلاً عن الشيخ نجم الدين، ثم يعيد هذه البنود ثلاث مرات أخرى، نقلاً عن نسخ أخرى من كتاب الشيخ نجم الدين. ولكن وصفه في هذه الحالات كلها هو عندي أشبه بالغاز؛ وقد كنت أعزو السبب في ذلك إلى أن الكاتب إنما يصف فنوناً مضى زمانها، غير أنني وجدته هو نفسه يذكر أن في هذه البنود كلمات زائدة وكلمات ليس لها معنى.

ثم هو لا يكتفي بذلك، وإنما يذكر بنوداً أخرى يقول إنه وجدها للشيخ نجم الدين، ويكملها ببنود من عنده حتى يصل مجموعها إلى المئة.

وهذا مثال:

"البند الأول، وهو بند الحرب، تبطيل يمين وتبطين شمال، ونقل استواء، وتسريح مقور، وقريصة، ونشل، وطعن، ودخول، وخروج، ونزول شمال، وضرب زندية".

بعد صفحات على هذا المنوال ينتقل المؤلف إلى التكلم عن الركوب، ويخصص لذلك مقدمة وثلاثين باباً، يشتمل آخرها على ١٦ فصلاً. وإليك أمثلة على هذه الأبواب، بنص المؤلف نفسه:

"باب في فضل الخيل وأقسامها ورباطها في سبيل الله تعالى".
"فصل في المسابقة بين الخيل على عرض جائز" أي حيث يجوز تغريم
الخاسر.

"فصل في اختلافات الدواب".

"باب في ابتداء تعليم الرمح والفرس التي تصلح لذلك".

"باب في الركوب وأنواعه".

"باب في ابتداء الخروج إلى الميدان".

"باب في ذكر الميادين"، (نقلًا عن أهل العلم، ومنهم الشيخ نجم الدين. يذكر
خمسة ميادين مختلفة ويميز كلاً منها باسم خاص ويفرد له باباً خاصاً، ويبدو أنها
تختلف بعضها عن بعض باختلاف خطوط سير الفارس في حلبة الجري).

ومن ذلك أيضاً باب في الكر والفر والدوران، باب في المواجهة، باب في
المطاردة، باب في الضرب بالمقرعة، باب في العمل بالرمحين، باب في العمل
بالسيف والرمح.

فصل في رمي الفارس، فصل إذا تبعك فارسان، فصل إذا تقابلت مع خصمك
... إلخ.

التعليم الثالث: في العمل بالسيف وما ورد فيه - ٣١ ورقة.

بعد وصف ألعاب مختلفة بالسيف ذات أسماء متميزة، يقدم المؤلف فصلاً في
ما يحتاج إليه العامل بالسيف، وفي وزن السيف وجهازه، وفي العمل بالسيف
والدرقة والترس.

ومن ذلك عمل بالسيف يذكر أنه من تأليف منصور، المعروف بالمصطنع؛ والعمل بالسيف على الفرس، وفصل بهز السيف والضرب به. ثم يورد باباً في السيوف وأنواعها وسفائياتها، وهو رسالة أبي يوسف يعقوب بن إسحق الكندي للمعتصم بالله.

التعليم الرابع: في الترس وما يرد حوله من مسائل.

التعليم الخامس: في العمل بالعمود؛ والعمود على ما يبدو قضيب معدني يستعمل في الهجوم والضرب.

التعليم السادس: في صناعة الجنود والفرسان. خمسة أبواب في سبع ورقات: الباب الأول في منافع السرج واللجام.

الباب الثاني في الخفة والوثوب على الفرس والرمي عليها.

الباب الثالث في تعليم الفروسية.

الباب الرابع في الصيد وأحوالها.

الباب الخامس في طلب السباع والحذر منها على اختلافها.

التعليم السابع: في الأسلحة ومسائل تتعلق بها: سبعة أبواب في ٣٢ ورقة:

الباب الأول في سلاح الرسول صلى الله عليه وسلم.

الباب الثاني مقسم إلى فصول منها لبس الأسلحة، وأين يضعها الرجل من نفسه، وماذا ينبغي أن يكون مع كل منها، وما ينبغي من حذر وتثبيت، وقطع الأنهار والكباري بالأسلحة.

الباب الثالث في رجاجة الفارس على أقرانه.

الباب الرابع في لقاء الفارس الفارس.

الباب الخامس في لقاء الفارس الراجل.

الباب السادس في لقاء الراجل الفارس.

الباب السابع في لقاء الراجل الراجل.

التعليم الثامن: في عقد الجيوش وجمعها وآلاتها وأمرائها وقوادها وأجنادها،
١١ ورقة، يبحث في واجبات الرئيس والمرؤوس كل نحو الآخر؛ ومن ذلك تحديد
أوصاف مميزة للجنود وخيولها، وطرق صف الجيش وتعبئته، ووضع الكمين.

التعليم التاسع: في تعبئة الصفوف للقتال، وفي الأنواع المختلفة للصفوف.
وينتهي بباب للمبارزة، اللعب منها والجد، مع قصص عن مبارزة الصحابة عليهم
السلام - ٢٠ ورقة.

التعليم العاشر: في المكاييد الحربية. يتكلم في أربع ورقات عن ثمانى مكاييد،
منها تسليط النيران، واستعمال النفط في الهدم بما يشبه القنابل والقذائف. ويتكلم
أيضا عن إطلاق أنواع من الدخان يتسرب من الثقوب فيقتل من يشمه.

التعليم الحادي عشر: في قسمة الغنائم والأحكام الشرعية المتعلقة بالجهاد.
في ٣٥ ورقة، وبيحث في أمور مثل حكم الغنائم والأنفال وقسمتها، والأمان،
والموادعة، والمصالحة، وأحكام الأسير، والمستأمن ما يصدق فيه وما لا يصدق،
والمعاودة، والمعاملة مع أهل الحرب، وأحكام المرتدين من الخوارج والبغاة.

التعليم الثاني عشر: في أمور يحتاج إليها المحارب وغيره، في ثمانى ورقات،
يبحث في وجوه الفأل، وعلامات تظهر في أذنان الخيل، وفي نبات النيروز،
والأصوات.

وفيه باب في تدبير المسافرين، وآداب الراحلين؛ وباب في معالجة الجروح والذرور والمراهم.

٤ - كلمة تقييم:

بدأت أطلع كتاب نهاية السؤل وأنا في القدس أشبه بمرابط أعزل يواجه العدو بالإيمان بحقه والثقة بعدالة ربه؛ فتملكني شعور غامر يربطني بالكتاب ومؤلفه، ويدفعني إلى تحقيق الكتاب ونشره، إيماناً بأن حاجتنا للجهد اليوم كحاجتنا إليه بالأمس.

ولكن إذ مضيت في دراسته تزايدت قناعتني بأنه يتكلم عن فنون ومهارات مضى زمانها.

إن آلة الحرب اليوم تحتاج إلى علم ودربة وإمكانيات أكثر مما تحتاج إلى فروسية. حتى الجانب الرياضي، جانب المباريات من فروسية الأمس، ذهب من بيننا نسياً منسياً في غضون أعصار من الاستعباد.

فهل نُحَيِّ الكتاب جانباً؟

إن فيه ما يستحق النشر، لأسباب تهم دارس تاريخ العلم؛ فرسالة الكندي للمعتصم بالله عن سقاية السيوف، وما يتضمنه الكتاب من صفحات عن هدم الحصون بما يشبه قتابل اليوم وقذائفه، ومن كلام عن حرب الغازات وحرب السموم، كل هذا قد يتضمن كشوفاً جديدة في تاريخ الحروب. ولكن في الكتاب أيضاً صفحات كثيرة لا أستطيع فهمها، لأنها تصف مهارات ذهبت من بيننا طيّ النسيان، بكلمات كانت مألوفة في عصرها لا تحتاج إلى تبيان؛ هذا بالإضافة إلى مواطن محدودة تُعَمِّد المؤلف تعمقة الكلام فيها لأنها تقع في إطار الأسرار الحربية.

لهذا رأيت مُكْرَهًا أن أكتفي بالتعريف بالكتاب، عسى أن يجد غيري الدافع القوي لتحقيقه. أما أنا فسأخترته عندي كما يُخْتَرَن الأثر الذي لا يقدر بثمن.

ويبقى بعد ذلك صفحات أحببت أن أشرك بالاطلاع عليها من تهمهم العربية من المجمعين وأمثالهم، ومن يهتمهم الاطلاع على نواحي مجهولة من الحياة الإدارية في الإسلام.

ملاحظة: مع مراعاة لحرمة النصوص، أثبتت الهمزة وقسمت النص إلى فقرات؛ وحيث اضطررت إلى إضافة كلمة وضعتها بين قوسين، وحيث تعدد علي قراءة كلمة عن يقين جعلت مكانها ثلاث نقط متتابعة.

الباب الأول من التعليم الثامن

فيما يجب على الملك

أن ينظر في أمر الجيش، وأن يولي أمرهم قائداً يكون أميراً مقدماً جلدأ بصيراً ذا تجربة، فيقلده عرض الجيش. فليكن هذا الأمير تام النهضة، كافي الجلادة، سريع الإقدام، قليل المحاباة، غير مهمل لقليل يجب النظر فيه؛ فالقليل من الإهمال في حق المعارض فساد لجمهور الجيش، لأنه متى ساهلهم في شيء من العدد، وربما أعاد بعض الأمراء أصحابه مرتين أو ثلاثة، وربما حاباهم بالضعيف وبالفرس الأعجف، وغير ذلك مما يجب الاهتمام به، فسييل الأمير على هذا يكون غير مساهل في شيء منه وإن صغر. وينبغي أن يكون قائد الجيش كما قال بزر جمهر:

لا يصلح لقود الجيش وتدبير الأمور إلا رجل تكاملت فيه خلال أربع، وثلاث، واثنان، وواحدة: أما الأربع فحزم، وحلم يحجب عن التهور في المشكلات

إلا مع إمكان فرجها، وشجاعة لا تقضها الملمات بتواتر جوائحها، وجود يهون
جلائل الأموال عند سؤالها.

والثلاث سرعة مكافأة الإحسان إلى صالح الأعمال، وثقل الوطأة على أهل
الزيغ والعدوان، والاستعداد للحوادث إذ لم يثق بأمان الزمان.

والاثنتان، إسقاط الحاجب عن الرعية، والحكم بين القوي والضعيف بالسوية.

والواحدة: التيقظ في الأمور مع ترك تأخير عمل اليوم إلى غد.

فإذا كانت فيه هذه الخصال، حفظ الجيش حفظاً تاماً.

وليكن معه كاتب شهيم جلد عارف بالحليّ والثياب.

ويحتاج الأمير إلى عرض الجند في ثلاثة مواضع: أحدها عند ابتداء عقد
الجيش، والثاني عند ابتداء اللقاء للحرب؛ وهذا عرض يختص فيه الترتيب؛ والثالث
عرض عند تمام الفتح، ويتبعه أيضاً قسمة الغنيمة.

ويحتاج أيضاً إلى الفراسة في الجند.

ونحن ذاكرون فصولاً من ذلك تكون معونة لقائد الجيش وكاتبه.

الباب الثاني من التعليم الثامن

فيما ظهرت به اللغة واتصل به العرف، وأهمل من ذلك غريب اللغة فيه؛
ونحن ذاكرون على رسومهم ذكراً يشتمل على استبقاء في اقتصار.

فمن ذلك الصفات الدالة على الأسنان:

فيقال في حق غير البالغ صبي، فإن كان قد راهق قيل أمرد، فإن علا موضع
شاربه شعرات سود قيل: حين طرّ شاربه، بفتح الراء، ويقال: بقل شاربه، والأول

أجود؛ فإن ظهر مثل ذلك في عارضيه وذقنه قيل: **حين بقل وجهه**، بتخفيف القاف. فإن اسودت لحيته بالاتصال قيل: **حين اتصلت لحيته**. فإن تم شعر وجهه قيل: **شاب**.

فإن ظهرت في لحيته شعرات بيض يسيرة، قيل: **حين وخطه الشيب**.

فإن زاد حتى يستوي البياض والسواد، قيل: **مجتمع**، وقيل: **كهل**.

فإن زاد البياض على السواد، قيل: **أشيب**.

فإن استكمل البياض قيل **شيخ**. وليس يكتب في ديوان الجيوش شيخ لقلّة ذلك فيهم.

فصل في اللحي:

فإن كان شعر لحيته موفراً من جميع الجهات قيل: **ألحي**. فإن كانت موفرة الطول قيل: **طويل اللحية**، وبعضهم يكتبه بقوله: **ألحي**. وإن كانت موفرة الذقن، خفيفة في العارضين قيل: **خفيف العارضين**. فإن قلّ الشعر في الذقن والعارضين قيل: **كوشج**. فإن قلّ شعره حتى يكون متفرقاً جداً، قيل: **سناط**. فإن عري وجهه عن الشعر قيل: **ثط وأثط**. وإن كان شعره يعلوه شقرة، قيل: **أشقر**. فإن زاد على ذلك حتى احمرّ، قيل: **أصهب**. فإن كان سدل الشعر قيل: **سبط الشعر**. فإن كان بخلاف ذلك، قيل: **جعد الشعر**. حين يكون متفرقاً جداً.

ثم ينظر في اللون: فإن كان أبيض فإن العرب يكتبونه: **أبيض**: والمتأخرين: **تعلوه سمرة**؛ وانفق الجمهور أنهم يكتبونه: **أسمر**. وكذلك لا يلقون (بالأ) إلى أصفر اللون، لأن هذا مما يدخله لبس بزواله...، إلا أن يكون أصلياً، فله اسم يخصه:

فإن كان الرجل أبيض يعلوه حمرة قالوا: **أسمر مشرب بحمرة**.

فإن كان عليه سمرة مشرب بحمرة، فإن كان عليه سمرة خفيفة قيل: أدم، فإن زادت قليلاً قيل: أدم ظاهر الأدمة، فإن زادت كثيراً قيل: أصفر، فإن أظلم لونه: قيل: أسود.

ثم ينظر في الشعر المتصل من الرأس بالجبهة: فإن تحاص على أعلى جبهته قيل: أنزع. فإن كان قليلاً قيل: خفي، وإن كان كثيراً قيل: بين. فإن كان بذلك المكان أثر، قيل: وبنزعته أثر، ويذكر مكانه، إن كان بجانب اليمين أو اليسار. فإن كان أكثر من نزع ... قيل: أجليح. وكان علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، كذلك. فإن استوعب مقدار الرأس قيل: أصلح.

ثم ينظر (إلى) الجبهة: فإن كانت واسعة، قيل: واسع الجبهة، وإن كانت بخلاف ذلك، قيل: ضيق الجبهة. فإن (كان) جلدتها متكسراً، قيل: بها غضون، فإن كان بها أثر، يذكر صفته من جانب كذا وكذا. فإن اتصل بشعره، قيل: متصل بقصاص شعره. فإن اتصل بحاجبه الأيمن أو الأيسر، ذكره وقيل: مقترن بحاجبه. وإن كان بها خال، قيل: بها خال، خفي أو بين، من جهة كذا.

ثم ينظر في حاجبيه: فإن اتصلا قيل: مقرون الحاجب، بين أو خفي. فإن كان بينهما خط من انتناء، قيل: مقرون بينهما خط أو خطان، إن كان مستطيلاً. فإن كان معترضاً قيل بينهما انتناء. وإن كان بينهما خال ذكره. ثم يذكر كثرة شعرهما، إن كان، أو قلته، فيقول مقرون الحاجبين، غليظهما، أو دقيقتها. فإن انفصل ما بينهما من الشعر، قيل: أبلج، ويقال: أبلد وأفرق. فإن رق الحاجب في لطافة، قيل: أزج. في اللغة: مزجج. فإن كان شعره كثيفاً زايد فهو أوظف. فإن سبغ وانعطف فهو: أقوس، فإن رق وخف في نبتة فهو: أنمص، فإن غلظ من قدام ودق من آخر فهو أدمص، فإن ذهب شعره كله فهو أمرط.

ثم ينظر في الأنف: فإن طال قيل: طويل الأنف. فإن علا، قيل: أفنى الأنف، وبعكسه: قصيره. فإن كان علوه من قبل آخره فهو أشمّ، فإن غلظ قيل غليظه، وبعكسه دقيقه. فإن أقبل طرف أنفه على فمه، قيل: أورد الأرنبة. فإن انبسط منخره قيل: منتشر المنخرين، فإن عرض وسطه قيل: أفتس. فإن انخفض آخره قيل: أخنس، فإن مال الأنف إلى أحد الجانبين قيل: أورد، فإن كان في طرفه قطع فهو أجدع، فإن كان في أحد الناشرين فهو أكرم، فإن كان صغيراً مليحاً قيل: أدلف ... فإن كان قصيراً قبيحاً قيل: أدلف أكزم، فإن اشتدت فطسته قيل: أفتح. فإن زاد على ذلك حتى صار كأنف البقرة قيل: أختم، فإن كان مرتفعاً في ملاحظة فهو أشم. فإن اشتد إقبال طرفه على فيه، الشفة، فهو أحجن. فإن مال ذلك منه إلى أحد الجانبين فهو أفغم. فإن ارتفعت أرنبته نحو القصبة فهو أفنى.

ثم ينظر في الشفة فإن كانتا غليظتين قلت: غليظ الشفتين، وبالعكس دقيقهما. فإن كانت الشفة العليا منقلبة قيل لها: قالصة. وإن كانت قصيرة قيل: منشرة، فإن انقلبت السفلى قيل: هدلاء، ويقال: دالعة. فإن كان في العليا شق قيل: أعلم. فإن كان في السفلى قيل: أفلج. فإن كان في وسط العليا نثرة فهي طرماء، فإن كانت النثرة في السفلى قيل: ترفاء.

ثم ينظر إلى بشرة الوجه فإن كان مضطمس الخدين قيل: مضموم الخدين. فإن كان بأعلاهما نتوء قيل: ناتئ الوجنتين. فإن كان بوجهه أثر جدري قيل: مجدور، بيّن أو خفيّ. فإن كان في مواضع متفرقة قيل: بوجهه نبذ جدري، ثم يذكر خالاً إن كان به، وصفته في أي موضع منه كان، ويقول لونه، ويذكر لونه فيقول: أحمر، إن كان، أو أسود، بيّن. ويذكر ما في الوجه من نمش أو أثر مستطيل أو معترض، أو ضربة أو غير ذلك.

ثم ينظر إلى الأسنان فإن كان بينهما انفراج قيل: أفلج أو مفلج الثنايا، إن كان مختصاً بها، والرباعيات والنياب السفلى والعليا، أو كلتيهما، أو اليمنى أو اليسرى، أو كلتيهما. فإن سقط منها شيء ذكرته وذكرت موضعه، وما هو، قيل: ساقط كذا وكذا، السفلى والعليا، اليمنى أو اليسرى. وإن اخضرّ لونها، أو لون بعضها، قيل: فاسد ذلك منه. فإن انسحج طرفها فهو كشّ، بيّن أو خفي. فإن انسحج حتى يستوي مع الميت قيل: أدود. فإن انكسر قيل: أهتم. فإن ذهب أسنانه وبقيت أسناخها فهو أطلع.

ثم ينظر إلى أذنيه: فإن كان صغيرهما قيل أصمغ، فإن كان متقوبهما قيل: مثقوب الأذنين، فإن كان في أحدهما ذكرته. وكذلك يذكر إن كان مقطوع الأذنين، إحداهما، أو بعضهما.

ثم ينظر إلى ظاهر كفيه وساعديه وباطنهما، فإن كان به أثر من ضربة أو نار أو غير ذلك يقال: في يده كذا وكذا.

فهذا مختصر ما جرت به العادة في ديوان الجيوش.

الباب الرابع من التعليم الثامن

في شيات الخيل

أول ما يبدأ به فيقال فرس أو شهري أو برزون، والأنثى منها حجر، ويقال له بغل أو بغلة، ثم يذكر اللون: فإن كان أسود قيل أدهم، فإن علته من الدهمة زرقة قيل: أدهم يشبه أخضر، فإن أشرب أسود أو ظاهر حمرة في باطنه تلي الصفرة قيل أدهم أحوى. فإن كان حلواً في اللون فهو كميت. ولون الكميت لون المسك، فإن كان أصفر من ذلك قيل: فاقع الصفرة. فإن كان أصفى من ذلك قيل كميت

أصفر، وإن شئت: أشقر يشبه كميتاً. وكذلك كل لون أشكل اعتمد فيه على الأقوى وشبه الآخر. ومن هذا يقولون: أدهم يشبه كميت، وكميت يشبه أدهم. والكميت يكون أسود العرف والذنب، فإن كان أحمر العرف فهو أشقر، فإن كان أصفر العرف والذنب والجلد فهو أصفر. وإن (كان) أصفر أسود العرف والذنب والجلد قيل سمور. فإن كان أدغم اللون، كلون البغال، فهو أخضر، نكتبه في كتاب العرض، وبعض الناس يكتبونه أدغم. فإن كان أشقر يميل إلى الصفرة فهو ورد، والأشقر أشد صفرة من الورد. فإن كان أشقر تعلوه زرقاة أو ظلمة فهو أصدى. وهو أن يكون شعره بيضاً مُنافِدةً للدهمة والكتمة، فهو صافي. فإن كثرت الشعر المنافد في أحد اللونين واشتد ظهوره فهو أشهب أحمر بسواد أو حمرة. فإن كان أشهب إلا أن في الحمرة آثاراً سوداً مباينة لجملة اللون فهو زرزوري اللون. فإن كان ناقصاً عن الكتمة وزائداً على الشقرة فهو أحمر. فإن كان ناصع البياض فهو قرطاسي ولباج، والعرب تسمى اللون الواحد بهيماً، وتسمى الأشهب والضبابي أشيم وأحمر. فإن اجتمع فيه لوان، وكل واحد من اللونين نكتة مفردة عن الآخر فهو مدبر. ثم انظر في شية الرأس: فإن ابيض أعلى رأسه فهو أصقع، وإن ابيض أصل ناصيته فهو أقنف، وإن كان في أذنيه شعرات بيض فهو أدرا، فإن ابيض ما بين أذنيه إلى البطن فهو موشح. فإن ابيض أكثر رأسه فهو أرخم، فإن شمل البياض رأسه فهو أعشى.

ثم ينظر في شية الوجه: فإن كان في وجهه بياض صغير، كالدرهم، فهو أفرح، فإن كان أكثر من ذلك فهو أغر، فإن كان شديد البياض فهو أغر موجح. فإن سالت غرته فهو أغر سايل. فإن دقت وجللت الخيشوم فهو شمراخ. فإن سالت الغرة إلى أحد شقي وجهه فالذكر والأنثى لطيم. فإذا أخذت الغرة إحدى العينين فهو أشعل، فإن شملتهما فهو مغرب، فإن ابيضت شفته العليا فهو أرقم، فإن ابيضت السفلى فهو ألمظ، فإن تعدى إلى ناصيته البياض فهي قرعاء

ومقرعة. فإن عمها فهي بشغاء وفاشغة. فإن ابيض رأسه وعنقه فهو أدرع، فإن ابيض ظهره فهو أرجل، فإن ابيض عجزه دون مقدمه فهو أذرف. فإن ابيض جنبه أو كلاهما فهو أحصف، فإن ابيض بطنه ولم يبلغ الجنب فهو أنبط، فإن بلغهما فهو أجوز ويجوز؛ فإن جاوز جوزه، وهو وسطه، إلى الظهر فهو أرح؛ فإن ابيض ظهره وبطنه فهو مبطن. فإن كان في ظهره أثر سحج السرح ونبت شعر أبيض فهو موفغ. فإن اعتدل السواد (والبياض) فيه نصفين أو ما يتقاربان فيه فهو أبلق. فإن كانت قوائم الفرس بيضاً، قلّ أو كثر، إلى نصف الرضيع أو ثلث منها، فهو محجل. فإن بلغ البياض ركبته وعرقوب الرجل، أو إلى الركبتين أو العرقوبين، فهو محجل محبب. فإن جاوز ذلك إلى فخذيه وعضديه فهو مسرول. فإن (كان) البياض في رجل واحدة فهو أرجل. فإن كان البياض في رجل ويد فهو مشكول، وهو الشكال، فإن كان محجل يد ورجل من أحد شقيه فهو متميل الأيمن مطلق الأيسر. والامسالك والاطلاق ما ليس به بياض. فإن كان البياض في يديه دون رجليه فهو أعصم. وقد قيل: يكون (في) إحدى اليدين دون الأخرى، فإن كان البياض في يديه دون رجليه، وبلغ مرفقيه فهو أقفر، وكذلك إذا كان البياض بإحدى يديه كان بقوائمه شعرات بيض فهو مختّم وبه خاتم، فإن زاد قليلاً فهو منعل، فإن استدار برجليه دون يديه فهو أخدم ومخدوم، فإن كان ذلك بأي رجليه فهو أرجل، فإن ابيض ذنبه (فهو - أصبع)، فإن ابيض بعض ذنبه فهو أشعل، فإن كان على ذنبه برش فهو موقف. فإن كان به سمة في فخذيه ذكر ذلك، وإن لم يكن (به) سمة قيل: غطل.

فهذا (ما) في الشيات، لا بد لكاتب الجيش من ذلك.

الدكتور أحمد سعيدان

* * *